

شبهات المستشرقين حول فواتح السور والرد عليها (دراسة وتحليل)

Orientalist Critiques on the Disjoined Letters in the Quran and Responses to Them (A Study and Analysis)

*Dr. Hafiz Muhammad Tariq

*Assistant Professor, Head of the Department; Islamic Studies. Govt. Rizvia Islamia Graduate College, Haroonabad

KEYWORDS

Disjoined Letters
Orientalist Critiques
Muslim Scholars
Quran

ABSTRACT

This paper critically examines the orientalist critiques regarding the "Fawatih al-Suwar," the disjoined letters found at the beginning of certain chapters in the Quran. These letters have been a focal point of both scholarly interpretation within the Islamic tradition and speculative theories by orientalists. The study begins with an exploration of the concept, significance, and classification of these letters as understood by classical and contemporary Muslim scholars. The paper then systematically addresses the claims made by orientalists, who have often suggested that these letters were influenced by external sources such as Jewish mysticism (Kabbalah) or were later additions to the Quran. Through a detailed analysis of primary Islamic texts and Orientalist writings, the research exposes the methodological weaknesses and historical inaccuracies in these Orientalist theories. By contextualizing these letters within the broader theological and linguistic framework of Islam, the study argues that the disjoined letters are not random or externally influenced, but are instead deeply rooted in the Quran's divine composition. They serve as a testament to the Quran's miraculous nature and a challenge to human understanding. The paper concludes by affirming the Quran's divine origin and dismissing orientalist critiques as unfounded, highlighting their roots in either misunderstanding or intentional distortion of Islamic teachings. This research contributes to the field of Quranic studies by offering a robust defense against orientalist critiques, reinforcing the sanctity and inimitability of the Quran from an Islamic perspective.

تعارف

الحمد لله الذي أنار قلوب عباده المتقين بنور كتابه المبين، وجعل القرآن شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي العربي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهادين الأجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد.

إن الإستشراق هو دراسة العالم الإسلامي والحضارة الإسلامية ومقوماتها السياسية والاقتصادية والتاريخية والعقائدية واللغوية. ومن أهداف المستشرقين أهداف دينية، واستعمارية، واقتصادية، وسياسية وعلمية. والهدف الأساسي من الدراسات الاستشراقية وضع الخطط الاستعمارية لاستعمار العالم الإسلامي والسيطرة على شعوبها ومقدراتها وليس ذات الدراسة هذا بالإضافة إحياء النعرات الجاهلية والخلافات الفقهية والحزبية، وتقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات حتى يسهل حكمه.

أن المستشرقين بذلوا جهوداً في محاولة إثبات أن مصدر القرآن لم يكن الوحي، وأنه من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه صلى الله عليه وسلم قد لفق مادة القرآن من عناصر الثقافة السائدة في البيئة العربية وقتئذ كما أفاد من كتب اليهود والنصارى، واستعان من برهان النصارى وأحبار اليهود في تأليفه أو تلفيقه.

ولقد كان القرآن الكريم أهم هدف يتوأسى المستشرقون بالتصويب إليه، واللغو فيه من جميع جوانبه: نزوله وجمعه، وتدوينه، وقراءته، وتفسيره، وموضوعاته، ولغته، وأسلوبه، واسمه وحتى فواتح السور إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن العظيم. ولم يقف المستشرقون عند

هذا الحد، لكنهم شككوا في مصدر القرآن الكريم، وقدحوا في صحته، ورموه بالتناقض والاضطراب والتحريف. وفي الواقع أن المستشرقين أجهدوا أنفسهم في البحث عن مصدر مزعوم للقرآن الكريم.

وليس هناك أدنى شك في أن المستشرقين الذين تناولوا موضوع فواتح السور غلب عليهم الافتقار إلى النزاهة ولم يعرفوا الموضوعية شأنهم في هذا شأن ما اتبعوه حيال الإسلام بعامة، فإني أريد أن أقدم البحث العلمي على موضوع "شبهات المستشرقين حول فواتح السور والرد عليها".

وقد يكون هذا البحث في المقدمة وثلاثة مباحث والخاتمة في نتائج البحث. وخطة البحث على الترتيب الآتية:

المقدمة: مفهوم فواتح السور

المبحث الأول: آراء علماء المسلمين حول فواتح السور

المبحث الثاني: شبهات المستشرقين حول فواتح السور

المبحث الثالث: الرد على شبهات المستشرقين حول فواتح السور

الخاتمة في نتائج البحث

المقدمة: مفهوم فواتح السور

كلمة فواتح السور مركب إضافي مكون من كلمتي فواتح والسور. وفواتح جمع فاتحة ويقصد بها ما افتتحت به السور من الكلام سواء أكان حرفاً أم كلمة أم جملة.

والسور جمع سورة، ويمكن تعريفها اصطلاحاً بأنها طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع. قالوا: وهي مأخوذة من سور المدينة. وذلك إما لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة وآية بجانب آية كالسور توضع كل لبنة فيه بجانب لبنة ويقام كل صف منه على صف.

وإما لما في السورة من معنى العلو والرفعة المعنوية الشبيهة بعلو السور ورفعته الحسية وإما لأنها حصن وحمية لمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من كتاب الله القرآن ودين الحق الإسلام باعتبار أنها معجزة تخرس كل مكابر ويحق الله بها الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون. أشبه بسور المدينة يحصنها ويحميها غارة الأعداء وسطوة الأشفياء. (زرقاني)

وتسمى هذه الفواتح أحياناً بأوائل السور، وأحياناً بفواتح السور، أو بالحروف المقطعة، وذلك لأنها لا تأتي إلا في أوائل السور فقط. وهي التي تكون على شكل حروف هجائية مفردة أو شبه مفردة. فإذا كان المراد من فواتح السور هي تلك السور المفتحة بالحروف المقطعة، وأن المراد هو تلك الحروف التي بدئت بها تلك السور فإن هذا الإطلاق إنما هو الأغلب الأعم وإلا فإن لفظ "فواتح السور" في مدلوله أعم من المدعى، إذ هو شامل لجميع فواتح سور القرآن الكريم من حيث الصدق.

المبحث الأول: آراء علماء المسلمين حول فواتح السور

عدد فواتح السور:

وقد وردت هذه الفواتح في ابتداء تسع وعشرين سورة من سور القرآن، وهي:

شبهات المستشرقين حول فواتح السور والرد عليها (دراسة وتحليل)

د/ حافظ محمد طارق

- 1- الم: البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة.
- 2- المص: الأعراف.
- 3- الر: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر.
- 4- المر: الرعد.
- 5- كهيعص: مريم.
- 6- طه: طه.
- 7- طسم: الشعراء، القصص.
- 8- طس: النمل.
- 9- يس: يس.
- 10- ص: ص.
- 11- حم: غافر، فصلت، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.
- 12- حم عسق: الشورى.
- 13- ق: ق.
- 14- ن: القلم.

طريقة قراءة الحروف المقطعة:

لا تقرأ هذه الحروف كالأسماء مثل باقي الكلمات، بل تقرأ واحدة واحدة بصورة متقطعة، ومن أجل ذلك سميت بالحروف المقطعة. فنطق (الم) بهذه الكيفية: (ألف لام ميم)، وننطق (طسم) بهذه الكيفية: (طاء سين ميم)، وهكذا بالنسبة للبقية، مع ملاحظة تسكين الأواخر باستمرار.

فواتح السور على أساس المباني:

وقد وردت هذه الفواتح في القرآن في تسع وعشرين صورة بصيغة مختلفة، فمنها البسيط المؤلف من حرف واحد، أو حرفين، أو ثلاثة، أو أربعة، أو خمسة أحرف. والسبب فيه أن أبنية كلامهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف، فكذا هاهنا. (زنجشري) وتصنف الحروف المقطعة على أساس المباني إلى:

- 1- ذات الحرف الواحد: ص، ق، ن.
- 2- ذات الحرفين: طه، طس، يس، حم.
- 3- ذات الثلاثة أحرف: الم، الر، طسم.
- 4- ذات الأربعة أحرف: المص، المر.

5- ذات الخمسة أحرف: كهيعص، حم عسق.

ومن الحروف المقطعة ما تكرر في فواتح السور، فجاء على النحو الآتي:

1- ما افتتحت به سورة واحدة: المص، المر، كهيعص، طه، طس، يس، ص، حم عسق، ق، ن.

2- ما افتتحت به سورتان: طسم.

3- ما افتتحت به خمس سور: الر.

4- ما افتتحت به ست سور: الم، حم.

وبذلك يستأنس المفسرون القائلون: إن فواتح السور إنما ذكرت في القرآن لتدل على أن هذا الكتاب الكريم مؤلف من حروف التهجي المعروفة فجاء بعضها مقطعا منفردا، وجاء تمامها مؤلفا مجتمعا، ليتبين للعرب أن القرآن نزل بالحروف التي يعرفونها فيكون ذلك تقريرا لهم ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله. وقد أسهب في بيان هذا الرأي من المفسرين الزمخشري، وتبعه الياضوي وغيره. (بياضوي) يتضح من هذا العرض المفصل أن مجموعة الفواتح القرآنية تسع وعشرون، وأيضا عدد الحروف الهجائية في اللغة العربية تسع وعشرون حرفا باعتبار الهمزة حرفا مستقلا. وجميع هذه الحروف الواردة في الفواتح من غير تكرار يساوي أربعة عشر حرفا، وهي تمثل نصف عدد الحروف الهجائية العربية باعتبار الهمزة والألف حرفا واحدا مستقلا، وإنما أطلق النصف للدلالة على الكل من باب الإعجاز البلاغي. كما يلحظ بالتأمل أيضا إن عدد مجموعات الحروف المقطعة التي ذكرناها آنفا (الم، المص، الر، الخ) تمثل هي الأخرى أربعة عشر مجموعة حرفية.

قال الزمخشري: قد جاءت من الحروف المهموسة العشرة وهي فتحته شخص سكت بنصفها وهي الحاء والهاء والصاد والسين والكاف. ومعلوم أن الحروف إما مهموسة أي يضعف الاعتماد عليها وهي ما تقدم وإما مجهورة وهي ثمانية عشر نصفها وهو تسعة ذكرت في فواتح السور ويجمعها "الن يقطع أمر".

والحروف الشديدة ثمانية: وهي أجدت طبقك أربعة منها في الفواتح وهي "أقظك".

والحروف الرخوة عشرون وهي الباقية نصفها عشرة وهي في هذه الفواتح. يجمعها "حمس على نصره".

والحروف المطبقة أربعة الصاد والضاد والطاء والظاء. وفي الفواتح نصفها: الصاد والطاء.

وبقية الحروف وهي أربعة وعشرون حرفا تسمى منفتحة نصفها وهو اثنا عشر في الفواتح المذكورة.

ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء.

ومن المنخفضة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون.

ومن حروف القلقة نصفها القاف والطاء.

ثم إذا استقرت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكتورة بالمذكورة منها، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته. وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكان الله عز اسمه عدد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما ذكرت من التبيكيت لهم وإلزام الحجة إياهم. (زمخشري)

فانظر كيف أتى في هذه الفواتح بنصف الحروف الهجائية إن لم تعد الألف وجعلها في تسع وعشرون سورة عدد الحروف وفيها الألف؟ وكيف أتى بنصف المهموسة ونصف المجهورة ونصف الشديدة ونصف الرخوة ونصف المطبقة ونصف المنفتحة؟

وإن اشتمال القرآن على هذه الألفاظ ليس من قبيل اشتماله على لغو الكلام أو إظهار القرآن بمظهر عميق مخيف ولا يفهم منه أنها رموز للمصاحف ألحقها مرور الزمن بالقرآن إلى غير ذلك من الهذيان. بل ثبوت هذه الفواتح لا يقدر في كون القرآن من عند الله سواء أفادت معنى ظاهراً أم لم تفد على ما بيناه من حكمة الله البالغة في إيرادها. والله هو الحكيم العليم. (زرقاني)

آراء العلماء المسلمين:

- اختلف العلماء في أن المراد من هذه الفواتح معلوم أو لا، والذين زعموا أن المراد من هذه الفواتح معلوم هم ذكروا وجوها.
- للعلماء القدامى في الكلام عن دلالة فواتح السور آراء متباينة منها:
- 1- أن فواتح السور من متشابه القرآن الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وأنها سر من الأسرار الإلهية في القرآن الكريم: انفرد الله بعلمها، والواجب، أن نؤمن بها ونقرأها كما جاءت، لأنها تعد بمثابة اختبار من الله لنا.
 - 2- أن الله عز وجل أنزل هذه الفواتح على هذا الشكل من النظم البديع ليتعجب العرب منها، فقد أتت على أحسن الوجوه وأبلغها حتى يقبل السامع بكل جوارحه على القرآن متدبراً إياه، واعيا به، ومتعمقا معانيه.
 - 3- أن بعض هذه الحروف هي أسماء الله، مثل حرف "ق"، "طسم"، "الم"، "ص".
 - 4- أن فواتح السور اسم من أسماء القرآن.
 - 5- أن فواتح السور من أسماء السور.
 - 6- أن ينبه المتكلم المخاطب إلى مهمات كلامه. (زمخشري)

قال الإمام الماوردي: اختلف فيه المفسرون على ثمانية أقاويل:

أحدها: أنه اسم من أسماء القرآن كالفرقان والذكر، وهو قوله قتادة وابن جريج.

والثاني: أنه من أسماء السور، وهو قول زيد ابن أسلم.

والثالث: أنه اسم الله الأعظم، وهو قول السدي والشعبي.

والرابع: أنه قسم أقسم الله تعالى به، وهو من أسمائه، وبه قال ابن عباس وعكرمة.

والخامس: أنها حروف مقطعة من أسماء وأفعال، فالألف من أنا واللام من الله، والميم من أعلم، فكان معنى ذلك: أنا الله أعلم، وهذا قول ابن مسعود وسعيد بن جبير، ونحوه عن ابن عباس أيضاً.

والسادس: أنها حروف يشتمل كل حرف منها على معان مختلفة، فالألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه لطيف، والميم مفتاح اسمه مجيد، والألف آلاء الله، والميم مجده، والألف سنة، واللام ثلاثون سنة، والميم أربعون سنة، آجال قد ذكرها الله.

والسابع: أنها حروف من حساب الجمل.

والثامن: أنه حروف هجاء أعلم الله تعالى بها العرب حين تحادهم بالقرآن، أنه مؤلف من حروف كلام، هي هذه التي منها بناء كلامهم ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم، إذ لم يخرج عن كلامهم. (الماوردي)

قال الإمام البيضاوي: "إن هذه الألفاظ لم تعهد مزيدة للتنبية والدلالة على الانقطاع والاستئناف يلزمها وغيرها من حيث إنها فواتح السور ولا يقتضي ذلك أن لا يكون معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم." (البيضاوي)

ذكر الإمام الرازي في فواتح السور وجوها كثيرة منها ما قاله المبرد واختاره جمع عظيم من المحققين، يقول: "إن الله تعالى إنما ذكرها احتجاجاً على الكفار وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور أو بسورة واحدة فعجزوا عنه أنزلت هذه الحروف تنبيهاً على أن القرآن ليس إلا من هذه الحروف وأنتم قادرون عليها وعارفون بقوانين الفصاحة فكان يجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن فلما عجزتم عنه دل ذلك على أنه من عند الله لا من البشر." (الرازي)

ويقول الإمام أبو السعود في تفسير هذه الحروف: "إن هذه الألفاظ إيماء إلى الإعجاز والتحدي على سبيل الإيقاظ فلولا أنه وحي من الله لما عجزوا عن معارضته. وبذلك يتضح أن هذه الأحرف جاءت في قمة التحدي للعرب الذين كانوا هم أرباب البلاغة والبيان" (العمادي)

وقال الشوكاني في فواتح السور: "إن المروي عن الصحابة في هذا مختلف متناقض، فإن عملنا بما قاله أحدهم دون الآخر كان تحكما لا وجه له، وإن عملنا بالجميع كان عملاً بما هو مختلف متناقض، ولا يجوز.....والذي أراه لنفسي ولكل من أحب السلامة، واقتدى بسلف الأمة أن لا يتكلم بشيء من ذلك، مع الاعتراف بأن في إنزالها حكمة الله عزوجل لا تبلغها عقولنا ولا تهتدي إليها أفهامنا، وإذا انتهت إلى السلامة في مدالك، فلا تجاوزه" (الشوكاني)

يقول السيد قطب في تفسير فواتح السور: "مثل هذه الأحرف يجيء في مقدمة بعض السور القرآنية. وقد وردت في تفسيرها وجوه كثيرة. نختار منها وجهها. إنها إشارة للتنبيه إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف، وهي في متناول المخاطبين به من العرب. ولكنه مع هذا، هو ذلك الكتاب المعجز، الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله. الكتاب الذي يتحداهم مرة، ومرة أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله فلا يملكون لهذا التحدي جواباً.

والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعاً. وهو مثل صنع الله في كل شيء وصنع الناس. أن هذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات. فإذا أخذ الناس هذه الذرات فقصارى ما يصوغونه منها لبنة أو آجرة، أو آنية أو أسطوانة، أو هيكل أو جهاز. كائناً في دقته ما يكون، ولكن الله المبدع يجعل من تلك الذرات حياة. حياة نابضة خافقة. تنطوي على ذلك السر الإلهي المعجز، سر الحياة، ذلك السر الذي لا يستطيعه بشر، ولا يعرف سره بشر، وهكذا القرآن، حروف وكلمات يصوغ منها البشر كلاماً وأوازناً، ويجعل منها الله قرآناً وفرقانا، والفرق بين صنع البشر وصنع الله من هذه الحروف والكلمات، هو الفرق ما بين الجسد الخامد والروح النابض، هو الفرق ما بين صورة الحياة وحقيقة الحياة" (سيد قطب)

قال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني: "أن هذه الحروف من أعجب المعجزات والدلالات على صدق النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا مما ترضاه النفوس. ألا ترى أن حروف الهجاء لا ينطق بها إلا من تعلم القراءة. وهذا النبي صلى الله عليه وسلم الأمي قد نطق بها." (زرقاني)

ويقول الدكتور محمد أبو ليلة: "إن للحروف المقطعة في القرآن الكريم أسرار ومعاني، لا يعرفها على الوجه الأكمل سوى الله تعالى، وهذه الحروف ليست مجموعة من الحروف الجامدة ضم بعضها إلى بعض لغير معنى، ولغير غاية، إنما ليست شكلاً بلا جوهراً أو رسماً بلا معلم. إن القرآن الكريم كتاب علم من أوله إلى آخره، والحروف المقطعة التي وضعت على هذا النحو في أوائل بعض السور لها معان كسائر آيات القرآن بلا شك، ولو أنها وضعت كرمز صامت، أو شكل خال من المعنى لما تنوعت من الحرف إلى الحرفين، إلى الثلاثة، والأربعة، والخمسة. ولما لازمت أوائل السور التي أنزلها الله تعالى فيما أنزل من القرآن، ولما أعطى الله تعالى بعض الإشارات إلى معانيها

في الآيات التي تليها، وترك للعقل أن يبحث ويتأمل، وما ذلك إلا لأن القرآن قد استهدف العقل الغافل فنبهه واستشاره ليتفكر ويتدبر في القرآن ومادته من حروف وكلمات ومعان، وبيان ونظم. " (أبوليلة)

المبحث الثاني: شبهات المستشرقين حول فواتح السور

أن المستشرقين الذين تناولوا موضوع فواتح السور غلب عليهم الجهل، ولم يعرفوا شأنهم في نزول القرآن، فإني أتعرض بعض شبهات المستشرقين حول فواتح السور في هذا المبحث.

- 1- يقول المستشرق (لوث) أن الحروف المقطعة قد تأثرت في أصلها "بالكبالا" يعني التصوف اليهودي. (أبوليلة)
- 2- ويذهب المستشرق (لوث) إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم مدين بفكرة فواتح السور من مثل: حم، وطسم، والم... الخ. لتأثير أجنبي، ويرجح أنه تأثير يهودي، ظنا من أن السور التي بدئت بهذه الفواتح مدنية خضع فيها النبي صلى الله عليه وسلم لتأثير اليهود. " (زفوق)
- 3- ويزعم المستشرق الألماني نولدكه: إن هذه الحروف المقطعة إنما هي رموز و إشارات كانت تؤمى إلى أسماء أصحاب هذه النسخ من المصاحف التي جمعها زيد بن ثابت فيما بعد واستعملها في إخراج نسخته التي كلف بجمعها. (العقيقي) وقال في كتابه "تاريخ القرآن" أن فواتح السور ليست من القرآن، وإنما هي رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثماني، فمثلا حرف الميم كان رمزا لصفح المغيرة، والهاء لصفح أبي هريرة، والصاد لصفح سعد بن أبي وقاص، والنون لصفح عثمان بن عفان، وما إلى ذلك، فهي إشارة للملكية الصحف وقد تركت في مواضعها سهوا، ثم ألحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآنا. (غلاب)
- 4- وذهب إلى هذا الرأي أيضا شفالي (Schwally) وبهل (Buhal) وهرشفلد (Hirchfeld) المستشرق اليهودي الألماني. (زكريا)
- 5- ويرى المستشرق بوير (Bauer) أن كل فاتحة السورة ترتبط بما يذكر في سورتها، مثلا فالطاء في (طسم) تشير إلى جبل الطور، والسين تشير إلى سيناء، وتشير الميم إلى موسى، وكذلك رأى أن (حم) تشير إلى جهنم مشيرا إلى أن الأمر اختلط على العرب الذين نطقوا حرف الجيم على أنه حرف حاء. (زكريا)
- 6- أن المستشرق الكبير شبرنجر (Sprenger) غرب من هذا كله، واقترح حين لم يشف غليله ما قيل في ↓ طسم ↑ أن يعكس هذه الصيغة ويرى فيها الأحرف البارزة الغالبة في قوله تعالى: ↓ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ↑ (الواقعة) فالطاء هي الحرف البارز في ↓ الْمُطَهَّرُونَ ↑ والسين والميم أقوى ما في ↓ يَمَسُّهُ ↑. فالطاء تشير إلى الطور، والسين إلى سيناء، والميم إلى موسى، وإن هذه السورة تتحدث عن موسى وطور سينين. (الصالح)
- 7- ويذكر المستشرق بلاشير في كتابه "المدخل إلى دراسة القرآن" أن المستشرق لوث (Loth) على حذره قد تابع شبرنجر على رأيه العقيم. (الصالح)

- 8- ويقول ويلش: "لأربعة عشر قرنا ظلت هذه الحروف موضع غموض وحيرة لعلماء المسلمين، إذ يرى بعض العلماء أن فيها اختصارا لعبارات ما، على سبيل المثال "الر" اختصارا للرحمن، "الم" اختصارا للرحيم، "حم" اختصارا للرحمن الرحيم، "ص" اختصارا صادي يا محمد، "يس" يا سيد المرسلين. (أبوليلة)
- 9- وقال ويلش: إن التاريخ لم يسجل لنا أي اختلاف في طريقة النطق بالحروف المقطعة وإنه من الملاحظ أنها تستند على قاعدة صلبة من المعتقدات الإسلامية ومع هذا تبقى عدة تساؤلات غير محاب عليها. (أبوليلة)
- 10- وقال البعض: إن القسم المكّي من القرآن قد اشتمل على لغو من الكلام في كثير من فواتح السور مثل الم وكهيعص. وذلك يبطل دعوى المسلمين أن القرآن بيان للناس وهدى وأنه كلام الله. وأي بيان وأي هدى في قوله: \downarrow الم \uparrow وقوله: \downarrow كهيعص \uparrow ؟ بل هذه الأحرف وأمثالها في غاية البعد عن الهدى بدليل أنه لم يهتد أحد منهم ولا الراسخون في العلم لإدراك معناها فالخطاب بما كالخطاب بالمهمل وإنما هذه الألفاظ من وضع كتبه محمد من اليهود تنبيها على انقطاع كلام واستئناف آخر ومعناها أو عز إلي محمد أو أمرني محمد يشيرون بذلك إلى براءتهم من الإيمان بما يأمرهم بكتابته. وقريب من هذا قول بعضهم: إن الحروف العربية غير المفهومة المفتوح بها أوائل بعض السور إما أن يكون قصد منها التعمية أو التهويل أو إظهار القرآن في مظهر عميق مخيف أو هي رمز للتمييز بين المصاحف المختلفة ثم أحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآنا. (زرقاني)

المبحث الثالث: الرد على شبهات المستشرقين حول فواتح السور

أن ما ورد عن المستشرقين في فواتح السور غير صحيح، وأن الكبلا معناها في العبرية التلقي أو التحصيل. و في الاصطلاح مجموع الفلسفة الصوفية والروحية لليهود. وما علاقة الحروف المقطعة باليهود؟ وما هو الدليل على هذه الدعاوي العريضة؟ ولا نرى أي علاقة بين الكبلا وبين الحروف المقطعة، وليس هناك دليل بل إن هذه الحروف جزء من الوحي، وأسرار القرآن ومتشابهه. وإن وقوع المستشرق (لوت) في مثل هذا الخطأ يرجع إلى جهله إذ إنه يتصور السور التي بدأت بالفواتح مدنية خضع فيها الرسول لتأثير اليهود، ولو دقق في الأمر لعلم أن سبعا وعشرين سورة من تلك السور التسع والعشرين مكية، وأن اثنين فقط من هذه السور مدنية وهما سورتا البقرة وآل عمران. وهذا يؤكد جهله التام، وكفى بذلك وبالاً. وأنه لا شك بأن جميع فواتح السور أتت على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها لأنها دليل على عظمة الاعجاز الإلهي اللغوي.

وزعم المستشرق الألماني نولدكه مردود لعدة أمور:

أولاً: إن زيدا رضي الله عنه لم يكن يجمع القرآن من نسخ كاملة، وإنما كان يجمعها من مواد مختلفة كالعظام والجريد واللخاف، فأبي ورقة أو جريدة أو عظمة كانت تحمل هذه الحروف؟

ثانياً: إن هذا الرأي لا يستند إلى أي دليل أو رواية صحيحة، حتى الروايات الضعيفة التي أولع بها المستشرقون لم يرد فيها شيء من هذا لا تصريحاً ولا تلميحاً.

ثالثاً: لم يجب هؤلاء المستشرقون عن تساؤل مهم وجوهري في هذا الموضوع، وهو لماذا وضعت هذه الحروف في أوائل هذه السور دون غيرها، ولماذا لهذا العدد من السور بالتحديد؟

رابعا: إن هذه الحروف بهيئاتها لا تتطابق مع الأسماء التي اقترحها المستشرقون، فالزير لا يرمز له ب(الر) لذلك استعمل ويلش حرف (Z) بدلا من حرف (R) الذي وضعه نولدكه وهيرشفليد في دعواهم أن (الر) رمز للزير.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن الأسماء التي اقترحها المستشرقون لم تكن معروفة بحيازة مصاحف، في الوقت الذي أهمل فيه هؤلاء المستشرقون ذكر أشهر الصحابة الذين عنوا بحفظ القرآن وجمعه وتدوينه كإبن مسعود، وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وغيرهم.

خامسا: إن هذه الطريقة لم تكن معروفة عند العرب، ولم تكن من عاداتهم في توثيق أشعارهم وخطبهم. (أبوليلة)

سادسا: وقد رد على هذا الزعم الخاطيء كل من المستشرق لوث (Loath) وبوير (Boer)، وقالوا: "لا يستسيغان إن أولئك المسلمين الأتقياء الذين نسخوا المصاحف يقبلون أن يضيفوا إلى كلام الله ما ليس منه، أو أن يقولوا إضافته إليه. وهما يجزمان بأنه لا يتصور عاقل إن أولئك الإعلام الدقيقين اللذين كلفوا جمع المصحف الخير يمكن أن يجيزوا انضمام رموز بشرية إلى كتاب الله أو أن يستبقوا فيما كلفوا مراجعته رموزا لمعاصريهم. (غلاب)

وهذا أفضل رد على نولدكه وغيره ممن يذهبوا إلى ما ذهب إليه. وقد شارك المستشرق شافلي في هذا الرأي، ثم نجد أن المستشرق نولدكه شعر بخطأ نظريته فرجع عنها وأما المستشرق شافلي فأهملها.

سابعا: أن المستشرق بلاشير يظهر تفاوت هذه النظرية بما لا يدع مجالاً لتقبلها واحترامها. فهو يستبعد مع لوث (Loth) ومع بوير (Bauer) من بعده أن يدخل المؤمنون الذين ذكرت أسماؤهم آنفاً... عناصر غير قرآنية في الكتاب المنزل الذي لا يزيد عليه ما ليس منه إلا ضعيف الإيمان، قليل اليقين. (الصالح)

ثامنا: ويرى المستشرق بلاشير فوق ذلك: أنه ليس من المعقول بحال من الأحوال أن يحتفظ أصحاب المصاحف المختلفة في نسخهم ذاتها بالحروف الأولى من أسماء معاصريهم إن علموا أنه لا يقصد بها إلا ذلك. (الغزالي)

تاسعا: وأعلن بلاشير بوضوح: "أن المسلمين الأتقياء الذين كانوا يرون من العبث كل محاولة لاخترق أسرار هذه الفواتح القرآنية، أثبتوا بما لا يدع مجالاً للشك أنهم وحدهم العقلاء الحكماء. (الصالح)

عاشرا: إن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي أ ب ت ث . . فجاء بعضها مقطعا وجاء تمامها مؤلفا ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعرفونها فيكون ذلك تعريفا لهم ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله بعد أن علموا أنه منزل بالحروف التي يعرفونها وبينون كلامهم منها. (السيوطي)

فهذا كله يبين ضعف نظرية نولدكه، ومع ذلك قد وجدت ترحيبا كبيرا في الأوساط الاستشراقية، وظلت هي السائدة في الكتابات الغربية وقتنا طويلا؛ لأن هذا الرجل يعد شيخ المستشرقين الألمان من غير مدافع، وبعد كتابه من أهم المصادر الغربية في دراسة هذا الموضوع، وعليه اعتمد معظم المستشرقين وتابعوه في كثير من آرائه التي لا يؤيدها المنهج العلمي الصحيح.

وأما الرد على الرأي الخامس والسادس والسابع فإن المؤكد أن مثل هذه التخرصات في تفسير أوائل السور لا تتناهى ولا تقف عند حد، وما هي إلا تأويلات شخصية مردها هوى كل مفسر وميله. (الصالح)

وأما الرأي الثامن والتاسع والعاشر مردود بعدة أمور:

أولاً: إن اشتمال القرآن على كلمات غير ظاهرة المعنى لا يناهى وصف القرآن بأنه بيان للناس وهدى ورحمة فإن هذه الأوصاف يكفي في تحققها ثبوتها للقرآن باعتبار جملة ومجموعة لا باعتبار تفصيله وعمومه الشامل لكل لفظ فيه. ولا ريب أن الكثرة الغامرة في القرآن كلها بيان للتعاليم الإلهية وهداية للخلق إلى الحق ورحمة للعالم من وراء تقرير أصول السعادة في الدنيا والآخرة. (زرقاني)

ثانياً: إن المعنى المقصود من فواتح تلك السور غير معلوم لنا بل هو من الأسرار التي استأثر الله بعلمها ولم يطلع عليها أحد من خلقه. وذلك لحكمة من حكمة تعالى السامية وهي ابتلاؤه سبحانه وتمحيصه لعباده حتى يميز الخبيث من الطيب وصادق الإيمان من المنافق بعد أن أقام لهم أعلام بيانه ودلائل هدايته وشواهد رحمته في غير تلك الفواتح من كتابه بين آيات وسور كثيرة لا تعتبر تلك الفواتح في جانبها إلا قطرة من بحر أو غيضا من فيض. (زرقاني)

ثالثاً: قال بعض العلماء في فواتح السور أن لها معنى مقصودا معلوما. قالوا: لأن القرآن كتاب هداية، والهداية لا تتحقق إلا بفهم المعنى خصوصا أننا أمرنا بتدبر القرآن والاستنباط منه وهذا لا يكون إلا إذا فهم المعنى أيضا، غير أن أصحاب هذا الرأي تشعبت أقوالهم في بيان هذا المعنى المقصود بفواتح السور. (زرقاني)

رابعاً: يقول الدكتور أبو شهبه: "دعوى أنها ألفاظ قصد بها التعمية أو التهويل، أو أنها رموز لمصاحف ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن دعوى لم يقيم عليها إثارة من علم، وإنما هو أمر فرضي وتشكيك بين أمرين ثبوت أحدهما ينفي الآخر فكأنها قصد بها التهويل... الخ. يفتضي أنها نطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت في عهده وكونها رموز... الخ. أن لا تكون نطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا كانت في عهده، والأمور الفرضية والتشكيكات لا تليق بالبحث النزوية القويم في كتاب كريم، تواترت الدلائل على تواتره في جملة وتفصيله وسلامته من التبديل والتحريف. ولو فتحنا باب الفروض والتخمينات التي لا سند لها من عقل ولا نقل لم تثبت حقيقة ولعاد ذلك بالنقض على الكثير من العلوم والمعارف. (أبو شهبه)

إن شبهات المستشرقين حول فواتح السور للقرآن الكريم كلها مزاعم واهية لا حظ لها من العلم، وإما هي تخمينات وافترضات يضعها أصحابها كما لو كانت. فالقرآن عندهم ليس كلاما الهيا ولا لربانيا، وإنما هو بشري من صنع محمد، وإن ما جاء فيه من قصص توافق ما جاء في التوراة والإنجيل فإنه قد أخذها عن هذين المصدرين بتحريف وإساءة فهمهم.

ثبت من الدلائل الباهرة والردود الدامعة على الشبهات الواردة، أن شبهات المستشرقين حول فواتح السور باطل، وقول من الزور، أو تعصب بغيب وجهل فاضح بالقرآن ومقاصده، وأن محاولتهم إطفاء نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. (التوبة)

الخاتمة في نتائج البحث:

وصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:

أولاً: إن القرآن الكريم كلام الله تعالى الذي أنزله على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين نذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وهو هدى ونور وشفاء لما في الصدور، ووحى من الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ثانياً: أن فواتح السور جزء من الوحي، وأسرار القرآن ومتشابهه الذي لا يعلم تأويله إلا الله.

ثالثاً: أن بعض هذه الحروف هي أسماء الله.

شبهات المستشرقين حول فواتح السور والرد عليها (دراسة وتحليل)

د/حافظ محمد طارق

رابعا: أن فواتح السور اسم من أسماء القرآن.

خامسا: أن فواتح السور من أسماء السور.

سادسا: إن شبهات المستشرقين حول فواتح السور باطلة، وقول من الزور.

سابعا: جميع محاولات المستشرقين لإطفاء نور الله بأفواههم، وأن الله تعالى يتم نوره ولو كره الكافرون.

ثامنا: أن المستشرق نولدكه رجح عن رأيه ورد عليه من أصدقائه في الدين بلاشير ولوث وغيرهم.

وقد بذلت جهدي بتوفيق الله تعالى في إكمال هذا البحث وترتيبه وتنقيحه بقدر طاقتي فما كان في هذا البحث من توفيق وصواب

فمن الله عزوجل، وما كان فيه من تقصير وخطأ فمني ومن الشيطان، فأحمد الله على ما وفقني إليه من الصواب، وأستغفره عما

أخطأت فيه.

وفي الختام أسأل الله عزوجل أن يرزقنا علما نافعا، وقلبا خاشعا، ولسانا ذاكرا، وأن يجعل القرآن الكريم لنا إماما ونورا وهدى ورحمة ولا

تجعله علينا وبالاً وغضبا ونقمة.

وصلى الله تعالى على حبيبه محمد وآله وأصحابه وسلم أجمعين.

المصادر والمراجع:

البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ط. دار الفكر، بيروت، لبنان. 85/1

Al-Baydawi, Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil (Vol. 1, p. 85). Beirut: Dar al-Fikr.

الدكتور محمود حمدي زقزوق، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. ط. رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.

قطر. الطبعة الأولى. ص: 84

Dr. Mahmoud Hamdi Zaqzouq, Al-Istishraqwa al-Khalfiyya al-Fikriyalil-Sira' al-Hadari (p. 84).

Qatar: The First Edition.

الدكتور محمد أبو ليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي. ط. دار النشر للجامعات. الطبعة الأولى: 1423هـ/2002م. ص: 235

Dr. Muhammad Abu Layla, Al-Qur'an al-Karim min al-Manzour al-Istishraqi (p. 235). Cairo:

Dar al-Nashr lil-Jami'at.

الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن، 127/1

Al-Zarqani, M. A. (n.d.). Manahil al-Irfan fi 'Ulum al-Qur'an (Vol. 1, p. 127). Beirut: Dar al-

Kutub al-Ilmiyyah.

الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن، 128/1

Al-Zarqani, M. A. (n.d.). Manahil al-Irfan fi 'Ulum al-Qur'an (Vol. 1, p. 128). Beirut: Dar al-

Kutub al-Ilmiyyah.

الرازي، الإمام فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

1421هـ/2000م. 07/2

Al-Razi, F. D. M. b. U. (2000). Mafatih al-Ghayb, Al-Ma'ruf bi Al-Tafsir al-Kabir (Vol. 2, p.

07). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 7271/1

Al-Zamakhshari, Al-Kashshaf 'an Haqa'iq al-Tanzil wa 'Uyun al-Aqawil fi Wujuh al-Ta'wil

(Vol. 1, pp. 71-72). Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.

المأوردي، النكت والعيون، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. 6563/1
Al-Mawardi, Al-Nukat wa Al-'Uyun (Vol. 1, pp. 63-65). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

إمام أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود السسي إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت. 21/1

Imam Abu al-Saud Muhammad ibn Muhammad al-'Imadi, Tafsir Abi al-Saud al-Musamma Irshad al-'Aql al-Salim ila Mazaya al-Qur'an al-Karim (Vol. 1, p. 21). Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.

سيد قطب، في ظلال القرآن، 98/1

Sayyid Qutb, Fi Zilal al-Qur'an (Vol. 1, pp. 8-9).

الشوكاني، فتح القدير، ط. دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة: 2007م. 24/1
Al-Shawkani, Fath al-Qadir (Vol. 1, p. 24). Beirut: Dar al-Ma'rifah.

سورة التوبة، الآية: 32

Surat al-Tawbah, Ayah: 32.

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 27/2

Al-Suyuti, Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an (Vol. 2, p. 27).

صبيح الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط. دار العلم للملايين، الطبعة: الرابعة والعشرون، 2000م. ص: 239
Subhi al-Salih, Mabath fi 'Ulum al-Qur'an (p. 239). Beirut: Dar al-'Ilm lil-Malayan.

سورة الواقعة، الآية: 79

Surat al-Waqi'ah, Ayah: 79.

محمد غلاب، نظرات استشرافية في الإسلام، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر. ص: ٤٢
Muhammad Ghalab, Nazarat Istishraqiyya fi al-Islam (p. 42). Cairo: Dar al-Kitab al-'Arabi.

نجيب العقيلي، المستشرقون، ط. دار المعارف القاهرة، مصر. 380379/2؛ د. محمد أبو ليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ص: 229

Najib al-Aqiqi, Al-Mustashriqun (Vol. 2, pp. 379-380); Dr. Muhammad Abu Layla, Al-Qur'an al-Karim min al-Manzour al-Istishraqi (p. 229).

محمد الغزالي، مع الله دراسات في الدعوة، ط. المكتبة الإسلامية، ١٩٨١م. ص: ١٠٦
Muhammad al-Ghazali, Ma'a Allah: Dirasat fi al-Da'wah (p. 106). Islamic Library.

زكريا هاشم زكريا، المستشرقون والإسلام، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1965م. ص: 143-142
Zakariya Hashim Zakariya, Al-Mustashriqunwa al-Islam (pp. 142-143). Supreme Council for Islamic Affairs, 1965.

الدكتور محمد أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص: 250
Dr. Muhammad Muhammad Abu Shahba, Al-Madkhal li-Dirasat al-Qur'an al-Karim (p. 250). Saudi Arabia: Dar al-Liwa.